أبحاث قسم اللغة العربية

١ - أنغام شعرية فى رحاب كلية الدراسات الإسلامية

عرض، وتقديم د. محمد محمد خميس

٢ - الجهود النحوية لابن طاهر النحوى

د. محمد الزين زروق

٣ - دراسة المسائل النحوية فى كتاب الزاهر لابن الأنبارى

د. محمد حسن عثمان

٤ - المجاز اللغوى عند المبرد فى كتابه الكامل

د. مصطفى السيد مصطفى جبر

٥ - موقف عبد الله بن الزبعرى من الدعوة الإسلامية

د. محمد السيد سلامة

أنغام شعرية
فى رحاب كلية الدراسات الإسلامية

عرض وتقديم: د. محمد محمد خميس
أستاذ مساعد الأدب والنقد قسم اللغة العربية وآدابها

مقدمة

١ـ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. .وبعد.

فإن حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة تفسح على متن صفحاتها مساحة مضيئة لعرض وتحليل قصيدة:

أنت منا أحق بالتكريم وبهذا الوفاء يا فيومى

للشاعر الأستاذ الدكتور / حسن جاد حسن ـ يرحمه الله ـ عرفانا بفضله ووفاءً بذكره.

٢ـ وقد عمل الأستاذ الدكتور حسن جاد[١] أستاذًا متفرغًا فى الكلية، فى الفترة من ١٩٧٩م إلى وفاته مما أثرى الحيوات العلمية والفكرية والأدبية بها، وذلك من خلال مناقشات علمية، وإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، وتفاعل حيوى نشط مع قضايا الكلية والجامعة والمجتمع، ومشاركات وجدانية فى كل شئون الحياة، تمخضت عن قصائد عديدة فى مختلف الموضوعات، حيث كان

(١) ولد الدكتور حسن جاد حسين عطا الله فى ١٣ يناير عام ١٩١٤م بقرية منشأة الجمال مركز دكرنس دقهلية، وحصل على الثانوية الأزهرية من معهد الزقازيق عام ١٩٣٥م ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة وتخرج منها عام ١٩٣٩م.

وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤٦م وترقى إلى درجة أستاذ مساعد عام ١٩٦٤م وإلى درجة أستاذ عام ١٩٦٩م.

وقد ترأس قسم الأدب فى كلية اللغة العربية عام ١٩٧٦م ثم عين عميداً لها عام ١٩٧٨م ثم أستاذا متفرغا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين عام ١٩٧٩م.

المرحوم شاعرا، فحلاً، ووترا حساسا تشجيه الألحان وتطربه.

وقد اتسمت شخصيته ـ كما يعرف كل أصدقائه والمقربين منه ـ بسرعة الانفعال، وحدة التأثر، وكذلك شأن الشعراء، إذ تطغى الشخصية الشاعرة بسلطانها الوجدانى فى معظم شئون الشاعر.

ويبقى لشاعرنا بعد ذلك مؤثرات خاصة تلون شخصيته الشاعرة وتحددها فى بعض المجالات، من ذلك افتقاده لولده[1] الوحيد فى حادث أليم فجعه فى ريعان صباه، مما جعل قيثارة الحزن لا تفتأ تحن وتئن بين حين وآخر. ومن ذلك أيضا افتقاده للوفاء من كثير من أصدقائه مما جعله كثير الشكوى، كثير الهجاء، لكنه إذ يجد الوفاء من صديق، أو الصدق فى إخاء، أو يجد البسمة فى مودة، لا يملك لنفسه زماما فينطلق يغرد، ويحلق فى سماء الحب يعبر عن طربه وسعادته، كما فى القصيدة التى معنا.

جو القصيدة.

فى ختام العام الدراسى ١٩٨٢ـ ١٩٨٣ أقام الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى العميد الأسبق للكلية، والأستاذ بها الآن ـ أمد الله فى عمره، ورزقه الصحة و حسن العمل ـ مأدبة إفطار فى شهر رمضان لأعضاء هيئة التدريس و العاملين فى الكلية.

وكانت ثمة صداقة تربط بين الأستاذ العميد، والأستاذ الشاعر تألق نجاحها فى سماء أفلت فيها نجوم صداقات زائفة فجع فيها شاعرنا،

---

(١) توفى ولده محمد عام ١٩٧٣ وهو طالب فى الثانوية العامة.

ومن ثم سنحت الفرصة ليشدو شاعرنا بشعره فى جمع الأصدقاء معبرا عن حبه لصديقه، وشكره لصنيعه، وتقديره لوفائه، فترددت أصداء أنغامه الشعرية فى رحاب الكلية، وبين جمع الزملاء المتآخى المتآلف.

عرض وتحليل:

أ- موضوع القصيدة:

جاءت القصيدة تحت عنوان: تحية شكر وتقدير

والعنونة اتجاه جديد فى الأدب، يربط النص بموضوعه، وينأى به عن افتراضات الدارسين والباحثين، ويوضح مرتكزه الفكرى وبؤرة إشعاعه الفنى.

وهو و إن كان يربطنا فكريا بخيط الشكر والتقدير، فإنه يحلق بنا وجدانيا فى أجواء المدح والهجاء والفخر والدعابة والوصف والدعاء.

والقصيدة كما تحددت فى النص المكتوب تحت إشراف الشاعر تنقسم قسمين رئيسيين، الأول يبدأ بالمدح، والثانى يبدأ بالشكر، وقد وجدنا مع المدح هجاء وفخرا، ومع الشكر وصفا ودعاء.

وعدد أبياتها أربعة وعشرون، تتوزع كما يلى:

الأبيات من ١ إلى ٧ و معها البيت العاشر فى المدح الصريح، والأبيات من ٨ إلى ٩ فى الهجاء ومن ١١ إلى ١٤ فى الفخر ومن ١٥ إلى ١٧ فى تعليل المدح والثناء، والبيت الثامن عشر فى الشكر الصريح أما الأبيات من ١٩ إلى ٢٢ ففى وصف الوليمة، والبيتان الأخيران فى الدعاء.

وقد ترتبت الأفكار على النحو التالى:

المدح ثم الهجاء، ثم الفخر والشكر، ثم الوصف والدعاء.

ولم يكن الهجاء ولا الفخر مقصودان لذاتهما فى النص، وإنما اقتضاهما السياق الثنائى على الممدوح، فبينا يتحدث الشاعر عن سجايا ممدوحه وخصاله الكريمة، يستدعى نقيض هذه الخصال والسجايا فى أناس كثير ويذمها، فيتأكد ويبرز ما قصده فى ممدوحه، وذلك بلا ريب من باب المدح غير المباشر، وهو ما هيأ للبيتين الثامن والتاسع أن ينبثا فى ثنايا المدح، ولا يقلقا فى موضعهما وبينا يختم الشاعر حديثه عن الممدوح نجده يلتفت إلى نفسه فى أبيات فخرية يدفع بها وهم من قد يظن فيه النفاق والرياء أو المحاباة والتجنى، وهى التفاتة طبيعية، تكشف عن مغمز يصم بعض الشعراء والنقاد فى مثل هذه المواقف، حين لا يصدرون فى قولهم عن حب، ولا يرمون فى نقدهم عن قوس الموضوعية والحيادية.

ولئن ظن البعض الغرابة، بموضعى الهجاء والفخر فى النص، فإن باقى الموضوعات قد اطمأن فى موضعه، وتناسق مع مجاوره.

وعلى ضوء هذا التوضيح يمكن لنا أن نعتذر لشاعرنا الكبير وأن نعرض القصيدة بحسب عناصرها كما يلى:

أولاً: المـدح:

١ ـ أنـت منـا أحـق بـالتكـريم ... وبهـذا الـوفـاء يـا فـيـومى

٢ـ غير أن الكريم يسبق بالفضل ... ومن يـسـتـطيع سـبق الكـريم

٣ـ صاغك الله حيـن صاغك حرا ... غـيـر مـسـتـبلم ولا مـسـتـنيـم

٤ـ عبقـرى الإباز سمـح المحيـا ... أريحى السخاء غيـر ذميم بنصيب

٥ ـ وحـبـانا بك اغـتنامـا فـفـزنا ... واف وحـفـظ عـظـيـم

٦ـ عـالـم نابـه أديب أريـب ... ذو ضـمـيـر حىٌ وقلب سـليم

٧ـ هـادئ وادع لطـيـف حـليـم ... لا يدانيـه غـيـر لطف النسـيم

١٠ـ كل من ضـاق بالهمـوم أتاه ... فـانجلت عنه غـاشيـات الهمـوم

ثانيا: الهجـاء:

٨ ـ ومن الناس نفحة من نسـيـم ... ومن الناس لفحـمـة من سمـوم

٩ ـ ومن الـناس بـلسـم لجـراح ... ومن الناس ناقع مـن سـمـوم

ثالثا: الفخـر:

١١ ـ يشهـد الله يـا مـحـمـد أنى ... لا أحـابى وأنـت جـد عـلـيم

١٢ ـ فلكم حارب النفـاق يراعى ... ولكم ضقت بالرياء الأثيـم

١٣ـ ظالم من يعيب نقدى للشـر ... وكم فى السـجون من مـظـلوم

١٤ـ لا يلام امرؤ عـلى ذم أفـاك ... فهـاجى إبليس غـير مـلـوم

رابعا: إظهار علة المدح وباعثه:

١٥ ـ إنه الحـب يا مـحـمـد كـنـز ... أنـت أحـرزتـه بـغـير قسـيم

١٦ـ قد جمعت القلوب حولك عقدا فاق فى الحسن كل عقد نظيم

١٧ ـ نَظَمَتْ من حباتها لك تاجا وأحلتك فوق عرش النجوم

خامسا: الشكر:

١٨ ـ أيها الأدب الكريم لك الشكر على ذلك السخاء اللعميم

سادسا: الوصف:

١٩ ـ جفنات فاقت جفان ابن جدعان وأزرت بحاتم فى القديم

٢٠ ـ عمرت بالحنيذ وبالضأن حتى غنيت عن دواجن الفيومى

٢١ ـ قد تعصبت للعروبة فيها فتحاشيت أعجمى اللحوم

٢٢ـ يا لها من قومية ياصديق حرمتنا من الديوك الرومى

سابعا: الدعاء:

قل لكلية الدراسات عيشى فى أمان من مكر كل لئيم

واسعدى وانهضى وتيهى فخارا بسجايا عميدك الفيومى

ب. الايقاع والوزن:

اختار شاعرنا ـ يرحمه الله ـ لقصيدته بحر الخفيف المكون من تفعيلات ناعمة وناغمة ورخية، مما يتناسب مع خواطره السابحة، ومشاعره المنبسطة ومعنى الخفيف من جهة أخرى يوحى بجو الطرب النفسى الذى يهز المشاعر ويلمس الأوتار الشاعرة فى حنو، ويردد العاطفة المشبوبة بين أنغام فاعلاتن ومفاعلين.

أما القافية فقد جاء اختيارها ميمية ممدودة لتتساوى مع لقب الممدوح «الفيومى» ومع صنيعه الجميل «التكريم».

وفى التصريع الذى احتواه الاستهلال جرس موسيقى عذب ورقيق يلفت الانتباهاه، ويوقظ الحس، ويطرب الآذان.

جـ- جماليات القصيدة

على الرغم من السمة التقريرية التى بدت على بعض عبارات النص كقول شاعرنا:

يشـــهد الله يـا مـحـــمـد أنـــى لا أحـابى وأنـــت جـد عـلـيـم

وقوله:

عـــالـم نـابـه أديـــب أريـــب ذو ضـمـير حـى وقـلـب سـلـيم

فإن النص حافل بالصور التى تجلى الفكرة وتعمق أبعاد المعنى. وأول ما يلقانا من ذلك هذا الاستهلال الرائع فى أول القصيدة، حيث تقدم فيه الجار والمجرور«منا» على أفعل التفضيل «أحق» مما أوحى من أول وهلة بقوة العلاقة بين الأصدقاء والزملاء، كما أن التعبير بالتكريم وبالوفاء عن الوليمة يوحى بالهدف منها والغرض الرئيسى من إقامتها.

ويكمن جمال البيت الثانى فى كونه تعليلا لمضمون البيت الأول، أما الاستفهام الإنكارى فى عجزه فقد تجمل بتعميق ما جاء فى صدره من معنى سبق الكريم بالفضل. وصور البيت الثالث الممدوح معدنا كريما يصاغ بيد العناية الإلهية، ويصنع على عين القدرة الربانية، فجاء على شرطها حرا بريئا من كل عيب.

وفى البيت السابع يشبه الممدوح فى رقته بالنسيم اللطيف. ويصور البيت الثامن والتاسع صورا مختلفة لخيار الناس وأشرارهم، أما

الأخيار، فهم نفحات من نسيم، وبلسم لجراح، وأما الأشرار، فهم لفحات من سموم، ونواقع من سموم، كما يصور البيت العاشر الممدوح ملجأ واسعا تنفرج عنده ضائقات النفوس، وتنفرج معه غاشيات الهموم.

وكم بدأ النفاق قبيحا فى صورته العدوانية التى رسمها الشاعر له فى البيت الثانى عشر.

وهكذا تتجلى الصور فى باقى أبيات القصيدة

د ـ تعليق وخاتمة:

١ـ القصيدة التى بين أيدينا من الشعر العمودى، وهى بهذا الالتزام تعكس اتجاه شاعرنا وميوله الأدبية، وتسلكه فى مدرسة شعراء البعث والإحياء، أو ـ كما يقال ـ الكلاسيكية الجديدة، وهم الذين حافظوا على النمط القديم للقصيدة العربية مع التعبير عن عواطفهم هم، وعصرهم، ومتغيرات حياتهم.

٢ـ متح شاعرنا من التراث العربى والإسلامى بعض الألفاظ والتعبيرات والصور كمردود ثقافى عكسته دراسته الأزهرية الطويلة، وعكوفه على الإبداع الشعرى فى عصوره المختلفة، ومن ذلك قوله «غير مستبلم» «عبقرى الإباز» «حارب النفاق يراعى» «أيها الآدب الكريم» «جفنات» «جفان» «الحنيذ» «ومن الناس لفحة من سموم».

٣ ـ كما عكست بعض التعبيرات وعى شاعرنا وتأثره بالواقع المعاصر، فهو يستشعر ما كانت تعانيه كلية الدراسات من كيد

الخصوم فى حقب من تاريخها، ويتأثر بفساد بعض الضمائر، وخراب بعض الذمم لدى الذين يتاجرون بأرواح الناس فيستوردون لهم لحوما فاسدة وينوه ببعض خيرات بلادنا كالدواجن الفيومى والديوك الرومى واللحم الضانى وغيرها مما يغنينا ويكفينا.

٤ـ غاب عن شاعرنا ما وجه إلى حسان «رضى الله عنه» قديما من تقليل جفانه حينما قال «جفنات» وانتقاده بذلك فى بيته المشهور: لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى، ومن ثم قلل هو أيضا جفان الممدوح حينما قال:

جفنات فاقت جفان ابن جدعان

ولو كان حرج كسر الوزن الشعرى هو الذى سوغ هذا لكان عذرا.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور/ محمد محمد خميس

* * *